

من برجنا العجيب

في ورقة منفصلة بين مخلفات « بهوفن » وجدت هذه الأسطر الدامعة : « الحب ، ليس غير الحب ، هو وحده الذي يستطيع أن يجعل حياتك سعيدة . آه يا إلهي ، دعني أجدها أخيراً ، تلك التي في مقدورها أن تدعم فضائلي ، تلك التي قد تسمح لي أن تكون زوجتي »

ومات بهوفن ولم يسمح له . أترى الطبيعة عدوة الفنان ، تضن عليه بما تمنحه للآخرين ؟ نعم . إنها لتقسو عليه ، وإنها لتنار منه أحياناً وتقول له في لفتها الصامتة البليغة :

— أنت تطلب إليّ أنا أن أمنحك الحب ؟ لا ، إني أمنحه كل الناس إلا أنت . إني أمنحه أولئك الساكنين الذين لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً ؛ أما أنت فتستطيع أنت نفسك أن تخلق « الحب » . إنك مثل عبقرية خالفة . كل عملك في هذا الوجود أن تصنع « الحب » وتمنحه الناس .

وهكذا تتخلى الطبيعة غالباً عن الفنانين العظيم ، وتركهم يبحثون سدى عن السمادة فلا يجدونها كما يجدها الآخرون ملقاة كالفلكة الناضجة ساقطة تحت الأشجار . إنما هي شيء بعيد ، كلما مدوا إليه أيديهم ابتمد عنهم وتركهم يائسين . عندئذ ينكبون طول حياتهم على كنوز نفوسهم وحدائقها اليانعة يستخرجون منها للناس فاكهة من ذهب وفضة ، تقصر الطبيعة أحياناً عن تقديم مثلها . ولكن الطبيعة تنظر إلى الفنان نظرة التشفي مع بسمة السخرية

— أفهمتي الآن ، وعلمت أن كلينا يعيش في الحرمان ، وأن سر وجودنا أن نعطي ولا نأخذ ؟
فيقول لها الفنان في نبرة ألم :

— نعم ، ولكنك أنت الطبيعة . أما أنا فأدعى مسكين . إنك لا تتألمين ، أما أنا فأألم ؛ إذ أرى الحياة تزول من تحت قدمي ، ولم يسمح لي بمحظ قليل من الهناء الذي يسخر به على الآدميين على الآدميين ؟ ومن قال إنك منهم ؟ عند ما وضع على منكبيك رداء « العبقرية والتلوذ خلع عنك في الحال بعض

نوفيس الحكيم

خصائص الآدميين :

في أوروبا على وصول مذهب القديس توماس (اقرأ مکتوب الكنيسة الصادر في ٢٧ مارس سنة ١٩٠٦) ، ثم إن العناصر الخارجية في أي زمان وفي أي مكان هي قانون عام بين الأمم لتبادل الثقافة . فالآن الخبراء العالميون ينتقلون من وطن إلى وطن في أرق الأمم المتحضرة ، والجنود المأجورة أو المساعدة في الحروب تفعل مثل ذلك ، وفي فرنسا مثلاً الآن كثير من زعماء الفكر من أصل أجنبي كالفيلسوف الخالد برغسون وكذلك مدام كريبه ، العلامة المشهور ميرسن ، بل إن أستاذ اللغة الفرنسية نفسها في السربون (سيويه الفرنسي) من أصل خارجي وهو العلامة فرينينا ستروفسكي ، ومع ذلك فإن أحداً من الناس لا يمكن أن يشك في أن هناك حضارة فرنسية قائمة وأن أثرها معروف في العالم

وجعل القول أن رينان هذا رجل يؤمن قبل كل اعتبار بالمذهب الرضوي ، وهو مذهب « العلم » الحديث الذي يبني على المنهج التجريبي الرياضي في العلوم الطبيعية ، ويسمى أن يجعل من علوم الإنسان الأدبية علوماً لا تقل دقة في أبحاثها عن العلوم المتقدمة . وهذا الفهم في نظر أتباع هذا المذهب يناقض في أصوله ما ساد في تاريخ البشرية من نزعات الفكر التي تناخص في نظرم في نزعة دينية قالت بالوثنية تارة ، وعبادة مظاهر الطبيعة تارة أخرى ، وبالتأليه تارة ثالثة ، ونزعة تجريدية خالصة يمثلها المهد اليوناني وهي تبني كأساس على منطق أرسطو ، والفلسفة الإسلامية تتبع هذا المهد . لهذا خرج رينان على المسيحية ، ولهذا أيضاً اعتبر الترجمة في الإسلام كنقل حرفي أي الفلسفة اليونانية « مخطوطة » بحروف عربية ، وهذه الترجمة ما هي إلا ترجمة مؤلفات أرسطو « بالذات » ، وتعاليم هذا الفيلسوف هي « الوحيدة » التي سادت التراث الإسلامي من أوله إلى آخره ، وأن هذه الفلسفة لاقت الاضطهاد من علماء الإسلام لأن هذا الدين ضد حرية الرأي والتفكير ، فمداء رينان للإسلام وترجمته وفلسفته ، عداً يتعلق إذاً بعذبه العام الذي ساد في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر . لهذا لزم أن يضاف إلى ردود من عقب على كتاباته من المسلمين رد جديد ملخص يشتم من طبيعة الآراء والمعارف في القرن العشرين .

عبد العزيز هزنت

عضو هيئة الجامعة المصرية لذكوراه الدولة.